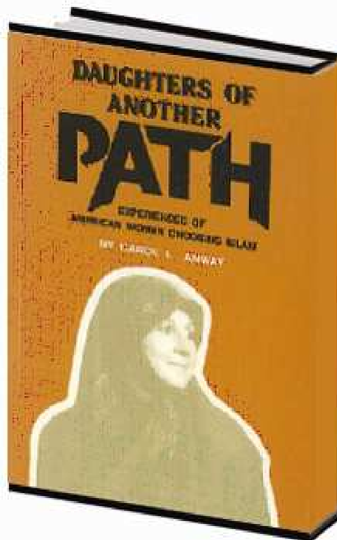
قراءة في كتاب:

بنات الطريق المخالف



بنات الطريق المخالف

Daughters of Another Path
Experiences of American women choosing Islam

أ.د. يوسف حسين

كلية العلوم الإسلامية جامعة الجزائر

" **بنات الطريق المخالف:** تجارب نساء أمريكيات ارتضين الإسلام دينا": هو عنوان هذا الكتاب الذي ألّفته كارول ل. أنواي باللغة الإنجليزية:" Daughters of Another Path.Experiences of American women choosing Islam ". وهو كتاب قيّم ضمّنته المؤلفة المتمرّسة في علم النفس التربوي قضايا حساسة وجديرة بأن يطلع عليها القارئ العربي العادي وطلبة الجامعات المهتمّين خاصة بمقارنة الأديان ومجال الدعوة.

هذا الكتاب تروي فيه المؤلفة، بموضوعية تامة، قصّتها مع ابنتها جودي التي اعتنقت الإسلام، والتغيّرات التي حدثت في علاقتهما تبعا لذلك، وأيضا قصص عدّة نساء أخريات أمريكيات المولد اعتنقن الإسلام وأسباب إسلامهنّ وقبولهنّ لمبادئ الإسلام التي وجدنها جدّ مقنعة.

ومنذ البداية أعلنت: " وهدفي لا يكمن في استعمال كلّ قصّة بكل تفاصيلها بل في استعمال أجزاء منها قصد الإطلاع على قصص ورحلات الإيمان لبعض من اخترن الإسلام دينا. وقد ضمّت هذه القصص، قصّتي الشخصية كأمّ لبنت أصبحت مسلمة. وهذه فرصة أيضا لاكتشاف عقائد الإسلام وكيف تمارس من طرف الأتباع في حياتهم اليومية.

وبإمكاننا الاستفادة من هذا **الكتاب** بمحاولة التعرف على **هدف تأليفه، وبيان منهج المؤلفة في المصالحة، وإلقاء نظرة عامة عن نتائج الاستبيان.**

❖ **هدف الكتاب كان متمثلا في بيان ما يلي:**

- تشجيع العائلات الأصلية للبنات المسلمات الأمريكيات على تجاوز حالتهم وصراعهم بفهم وقبول هذا الاختيار من طرف بناتهم لاعتناق الإسلام.

فمن خلال الوصف الذي تقدمه هؤلاء البنات عن العيش وفق المبادئ الإسلامية في حياتهن اليومية، سيتعرّف غير المسلمين على الطريق الإسلامي في الحياة ويكتشفون أيضا الطريقة الأفضل للتعامل مع هؤلاء البنات المعتنقات للإسلام في موقع العمل، أو كقريبات وصديقات ومعارف، بالإضافة إلى الاطمئنان على بناتهم خاصة إذا عرفوا من خلال الاستبيان أن:

إجاباتهن تمثّل ردود أفعال إيجابية جدا فيما يخص أسلوب حياتهن الإسلامي المختار، إذا قورنت بتلك القصص الأكثر سلبية التي نسمعها في أغلب الأحيان في أجهزة الإعلام... وأن هذه الدراسة تشير إلى أن معظم هؤلاء النسوة قد وجدن الكمال والسعادة في قرارهن بالعيش وفق أسلوب حياة معيّن هو الإسلام.

تعريف المجتمع الأمريكي بأن هؤلاء البنات لم يغرّر بهن وأنهن أسلمن عن اقتناع لأن:

- المستوى التعليمي لهؤلاء البنات يشير إلى طالبات جامعيات خريجات من المدارس العليا وحملة الدكتوراه.

أو كما أشار الاستبيان:

ف53 بالمائة يحملن شهادة الليسانس أو ما فوقها.و35 بالمائة منهن يحملن شهادات الليسانس في الآداب والعلوم، و12بالمائة يحملن شهادات الماجستير في الآداب والعلوم، و6 بالمائة يحملن شهادة دكتور في الطب أو درجة الدكتوراه.وفي الوقت الذي كنت أستلم إجاباتهن كانت سبع نساء منهن طالبات في الجامعة بصدد إعداد أنفسهن لنيل شهادات عليا.

- اختيار البنات الأمريكيات وقبولهن للإسلام تمّ عن طريق البحث والفهم وليس بالقوة أو التأثير من أزواجهن.وهن على مستوى عال من التعليم والثقافة والحرفية؛ مما يدحض اعتقاد بعض الأمريكيين بأنهن "لسن ذكيات جدا". وتقرّر المؤلفة: " ولا واحدة من هؤلاء النساء شعرت بأن زوجها أكرهها على دراسة الإسلام واعتناقه. وفي حالات كثيرة فإن بحث الزوجة هو الذي دفع الزوج إلى ممارسة دينه" / بيان أن ردود أفعال الأمريكان خاضعة للصور النمطية السلبية: إذ ترى المؤلفة بأنه:

- نظرا لأن الناس في الولايات المتّحدة وكندا يميلون لعزل أنفسهم في مجموعات اقتصادية ودينية وعرقية خاصة بهم، ومقاومة أي احتكاك بالثقافات والأفكار الأخرى.

- ونظرا لأن الإسلام مجهول بالنسبة إلى معظم الأمريكيين ولا يعرفون إلا النزر القليل عن مبادئ الإسلام وتاريخه.

- ونظرا للتعليقات الإعلامية المليئة بالصور النمطية السلبية عن المسلمين..

فقد تمّت تغذية مخاوف الأمريكيين وتعزيز الأفكار الشائعة المضلّلة المغرضة في أغلب الأحيان، مما جعل وجهة النظر السائدة عند العديد من الأمريكان هي أنّ المسلمين إرهابيون، وهم يلامون بسرعة كلّما حدث عمل إرهابي. وأن الدين الإسلامي هو دين القرون الوسطى 'ينطوي على العنف ويحتقر المرأة ويضطهدها.

• منهج المؤلفة في المصالحة:

ترى المؤلفة أنه قصد تحقيق المصالحة وتجسيدها بين البنات الأمريكيات اللواتي اعتنقن الإسلام وبين عائلاتهن والأمريكان بصفة عامة:

- **يحتاج الأمريكان إلى اعتبار الأفكار الشائعة المضللة والصور النمطية السلبية كماضي والنظر إلى الإسلام الحقيقي**، إسلام السلام، الإسلام الذي يزداد أتباعه أكثر فأكثر كلّ يوم. أو كما كتبت إحداهن:" نحن أصحاب دين أسيئ فهمه كثيرا. نحن أيضا أصحاب الدين الأكثر ازديادا في العالم. سنصبح إن شاء الله خلال عشر سنوات، الدين الأكبر الثاني في الولايات المتحدة."

- **تحتاج عائلات البنات المعتنقات للإسلام إلى الانفتاح على التنوّع والبعد الإضافي الذي جلبته البنت إلى العائلة**، وإلى تعلّم تقدير واحترام الأمر الذي كان يدعو ابنتهم وصديقاتها إلى اعتناق الإسلام.وفي هذا تقول المؤلفة: " ...إن بعض اختيارات بناتنا (وأبنائنا أيضا) قد تجعلنا ننفتح على العالم من حولنا إذا سمحنا لأنفسنا باستكشاف هذا الطريق الجديد بروح المغامرة والاكتشاف. كان قرار جودي بإتّباع الإسلام بداية لمثل هذه الرحلة لزوجي ولي."

- **تحتاج العائلة في خطوتها لمحاولة الفهم والمصالحة مع البنت إلى البحث عن مصادر للقراءة والتعلّم** حول ما اختارته من دين.وذلك قصد اجتناب الحكم الخاطئ في حق ابنتها، أو كما تقول إحداهن: " لا تحكموا عليّ من خلال بعض المسلمين الذين يقومون بأمور غير إسلامية باسم الإسلام. تعرّفوا علي، تحدّثوا معي، ادعوني إلى مدارسكم وكنائسكم، ودعنا نسمح لأنفسنا بالتحاور حول دين بعضنا البعض. لا تكونوا خائفين من الإسلام. تعرّفوا عليّ."

- **يحتاج الجميع إلى أن يكونوا متفتحين** بما فيه الكفاية لمعرفة أن "مختلف " لا يساوي دائما "سيئ "وأن يغيروا موقفهم السلبي إلى موقف إيجابي كما فعلت إحدى العائلات:

وعلى أية حال، فهم لم يكونوا متفتحين، عندما بدأت أرتدي الحجاب .قلقوا لاعتقادهم بأنّي كنت أقطع نفسي عن المجتمع، وسيمارس التمييز ضدي، وأنّ هذا سيعيقني عن بلوغ أهدافي، وأنهم محرجون من الظهور معي.اعتقدوا بأنّه تطرّف كبير مني.لم يمانعوا أن يكون لديّ إيمان مختلف، لكنّهم لم يرضوا أن يؤثّر على المظهر الخارجي لحياتي.

وفي غضون ثلاث سنوات حصل تغيّر كبير. اعترفت عائلتي بأنّني لم أحطّم حياتي.ورأوا بأنّ الإسلام جلب إلي السعادة وليس الألم والحزن. هم فخورون بإنجازاتي وبوسعهم أن يروا بأنّي سعيدة حقا وبسلام. وعلاقتنا تعود إلى وضعها الطبيعي وهم يتطلّعون إلى زيارتنا الشهر القادم –إن شاء اللّه."

- **ويحتاج الجميع في النهاية** إلى الاستماع إلى واحدة من بناتهم وهي تخاطبهم: " أنا أودّ من الجمهور الأمريكي معرفة بأنّي مسلمة بالاختيار الشخصي.أنا كاملة النضج وإنسان ذكي قادر على اتخاذ القرارات العقلانية. قراري باعتناق الإسلام ليس محاولة للتكيف مع ثقافة زوجي أو عائلته، وليس نتيجة التقليل من احترام الذات وليس نتيجة الضغط من زوجي. وأحبّ من الناس أيضا أن يفهموا بأنّ الإسلام لا يقمع النساء ولا يقبل الإرهاب. أنا أودّ من الناس أن يدركوا بأن الإسلام يؤيّد الاعتدال والتواضع".

•النظرة العامّة عن نتائج الاستبيان:

⇦ تمثّل إجابات البنات الأمريكيات اللواتي اعتنقن الإسلام ردود أفعال إيجابية جدا فيما يخص أسلوب حياتهن الإسلامي المختار، خاصة إذا قورنت بتلك القصص الأكثر سلبية التي نسمعها في أغلب الأحيان في وسائل الإعلام.إذ تشير هذه الدراسة إلى أن معظمهن قد وجدن الكمال والسعادة في قرارهن بالعيش وفق أسلوب حياة معيّن هو الإسلام.

ولكن كيف تمّ تعرّف البنات المعتنقات للإسلام على الدين الإسلامي؟ وما هي الحاجات التي لباها لهن الدين الجديد؟

طرق تعرّف البنات على الإسلام واتصالهن به:

تذكر المؤلفة أن الفتيات الأمريكيات المعتنقات للإسلام وصلن إلى نقطة اعتناق الإسلام من طرق متنوعة:

- **فمنهن من عرفن الإسلام عن طريق الزوج** كما تقول إحداهن:" قابلت زوجي سنة 1983..ومن قبل لم يحصل لي أي اتصال رسمي بالإسلام على الرغم من أني كنت في مرحلة الماجستير من حيث مستواي العلمي." أو كما تقول أخرى:

عندما قابلت الرجل الذي أصبح زوجي وعلمت بأنّه كان مسلما، خفت وسألت كلّ الأسئلة التي سبّبت خوفي.وسجلت أيضا في الجامعة في مادة "الإسلام والتغيير الاجتماعي" فتعرفت أكثر على الإسلام.

وكنت كلما تعلّمت أكثر فأكثر في الفصل، كلما كثرت أسئلتي وأصبحت أكثر خوفا.ولكن هذا الخوف، على أية حال، كان مختلفا عن الخوف من المجهول؛ هذا الخوف كان خوف اكتشاف للذات. لقد وجدت أني كنت طوال الوقت أقاسم الإسلام الاعتقادات التي تعلّمتها من خلاله، لكني لم أكن أسميها فحسب.هذا الدرس عن القرآن وزوجي مكناني من إدراك أنّي كنت لعدد من السنوات أعيش حياة إسلامية دون أن أعرف ذلك.(ولم أبدأ بالالتزام الكامل كمسلمة حتى تعلمت أركان الإسلام الخمسة). لذا عندما يسألني الناس كم من الزمن مرّ علي وأنا مسلمة، لا أستطيع إخبارهم بالتحديد، لكنّي أظن بأنّه كان إحدى عشرة سنة.وإذا سألوني متى اعتنقت الإسلام، فسأقول لهم في سنة 1992.وفي واقع الأمر، كان زوجي يعرف قبل أن أعتنق الإسلام بأنّني كنت مسلمة، لكنه تركني أصل إلى ذلك الإدراك بنفسي.

- **وأخريات عرفن الإسلام على مقاعد الدراسة** كما تقول المؤلفة: " العديد من هؤلاء النسوة تعرّفن على الإسلام للمرة الأولى في رحاب الجامعة.ربما من خلال فصول الدين المعيّنة، أو الكتب التي طالعنها والمتعلقة بالمواد العامة للجامعة، أو من خلال الطلاب والأصدقاء المسلمين الذين التقوا بهم في الحرم الجامعي، فما سمعوه عن الإسلام أثار فيهن اهتماما كبيرا. أو كما تذكر إحدى البنات المعتنقات للإسلام: كنت أنتمي إلى الكنيسة الكاثوليكية الرومانية.وسجلت في الدراسات الإفريقية الأمريكية كجزء من عملي لنيل شهادة في العلوم الاجتماعية.

وإثر قراءة السيرة الذاتية لمالكولم إكس، شعرت بضرورة فهم القوّة الكامنة وراء التغير الذي طرأ على الأخ مالكولم بعد أداء الحجّ، وعودته إلى الولايات المتّحدة وقوله بأنّ التمييز العنصري ليس جزء من الإسلام .

وعندما بدأت أدرس، شعرت بيقين بأن البرق سيدفعني لدراسة دين آخر. درست الإسلام بصفة عادية لثلاثة أشهر، وبصفة مكثفة لثلاثة أشهر أخرى ، ثمّ وجهت الشهادة إلى الله قبل أن أدخل مسجدا للمرة الأولى في 29 ماي، 1993. وأعلنت الشهادة في المسجد وبحضور الشهود في 30 ماي 1993.

وتعلن أخرى: تعرّفت على الإسلام في الرابعة عشر من عمري، لكن بسبب النزاعات العائلية لم أكن قادرة على تعلّمه والالتزام به.وبعد مغادرتي للبيت والتحاقي بالجامعة، أصبحت لدي الحرية لإتباع الدين الإسلامي.والتغيير الأكبر الذي كان لا بدّ أن أحدثه(إضافة إلى التغييرات الواضحة في اللباس والحمية، الخ..) هو أن أضع بعض المسافة بين نفسي وعائلتي وأصدقائي السابقين.وقد قمت بهذا كحماية لنفسي مما يمكنني من نمو أقوى في ديني ولا يصرف انتباهي عنه. لم يكن لديّ إلا إحساس قليل بالخسارة، لأني ملأت الفراغ بأصدقاء مسلمين جدد، ولاحقا بزوجي.

- **والبعض منهن توصلن إلى الإسلام عن طريق الجيران** أو الزملاء المسلمين في العمل كما تقول إحدى المعتنقات للإسلام: كنت في الخامسة عشر من عمري عندما بدأت أدرس الإسلام لأول مرة.لقد جاورتنا عائلة سعودية، وسحرت بسلوكهم ولباسهم ولغتهم ودينهم. لقد أصبحت علاقتي مع الزوجة حميمة جدا، لكنّ اعتناقي للإسلام استغرق أربع سنوات.لم يلحوا عليّ لاعتناقه،بل أجابوا عن أسئلتي ببساطة وغمروني بعظيم لطفهم وكرمهم. خلال كلّ المرحلة الثانوية، بقيت بعيدا عن العناصر السلبية على الرغم من أني لم أكن مسلمة.لقد كان ذلك من تأثير أصدقائي السعوديين.ولذلك فعندما أسلمت كانت الأشياء الحقيقية الوحيدة التي تغيّرت متمثلة في لباسي ونشاطات وقت فراغي مثل الحفلات الموسيقية والأفلام والألعاب الرياضية.

أو كما تقول أخرى: "قابلت زوجي عندما كنت أدرس في الكليّة. عملنا في نفس مطعم الأكلات المكسيكية. أنا انجذبت إليه لأنه كان جادا في عمله وذكيا ويتصرّف بأدب. أنا كنت في حاجة إلى شخص لأعتقد بأني رائعة. نظر

إليّ كشخص كامل الصفات وعاملني كملكة (على الرغم من أنّنا كنّا في حالة سيّئة) باحترام وكرامة.

أو كما تقرّر المؤلفة:" البعض من النساء الشابّات قابلن مسلمين في هذه البلاد فأثّروا عليهن بحياتهم وممارستهم اليومية.لقد أحسسن بشخصية المسلمين القويّة التي بدت لهن نابعة من اعتقاداتهم."

- **وأخريات اعتنقن الإسلام بتأثير من سلطان القرآن** كما تقول إحداهن: " جاء اعتناقي للإسلام نتيجة للتحدي من طرف مسلم لقراءة القرآن قصد تمكيننا من إجراء نقاش حول مكانة المرأة في الإسلام.وكنت أحمل الصورة النمطية المشوهة عن النساء المسلمات من حيث كونهن مضطهدات وفي موقع سيئ بالنسبة إلى مثيلاتهن المسيحيات.لقد كنت مسيحية بالاسم، ونشأت في بيئة كاثوليكية، ولم أكن ملتزمة بهذا الدين.والحقيقة أني اهتممت بتصنيف نفسي كمسيحية فقط لكي لا أبدو عاصية جدا أمام عائلتي الكبيرة (عائلتي أيضا لم تكن في الحقيقة مسيحية إلا بالاسم)."

الحاجات التي لباها الدين الجديد للأمريكيات المعتنقات للإسلام يمكن إيجازها فيما يلي:

- **ملء الفراغ الروحي:** إذ تجيب إحدى البنات المعتنقات للإسلام عن الاستبيان فتقول:" لعدّة سنوات، كنت أتنقل من كنيسة مسيحية إلى أخرى.ولم أحس بالسعادة في أي واحدة منها.وإذا لم يتحقق شيء في كنيسة ما، فأنا أذهب إلى كنيسة أخرى". وتعقّب المؤلفة فتقرر: " هؤلاء النساء كنّ غير راضيات عما وجدنه في الكنيسة وكنّ يتساءلن ويبحثن عن شيء يملأ فراغهن الروحي. لقد كان لديهنّ نوع من الاستعداد لتقبّل ما يلبّي حاجاتهن الدينية والروحية."

- **إيجاد الأجوبة في الإسلام:** لقد كانت البنات المعتنقات للإسلام في أغلب الأحيان - قبل إسلامهن - غير راضيات عن أجوبة زعماء الكنيسة عن أسئلتهن. كتبت إحداهن: " بدأت بطرح الكثير من الأسئلة على القساوسة وعلماء الدين، وكبار رجال هذا الحقل لمساعدتي في إقناع زوجي بالمسيحية. أردت ذلك بكل ما أوتيت من حول وقوّة ،وبكيت أمام عدد منهم قصد مساعدتي وقال معظمهم : "أنا آسف - أنا لا أعرف "أو " أنا سأكاتبك " ..لكن بعدها لم أسمع عنهم أبدا. وكنت كلما اشتدت محاولتي لإقناعه بالمسيحية وتحويله إليها، كلما انجذبت نحو الإسلام بسبب منطقه، إلى غاية الاستسلام النهائي له والاعتقاد في وحدانية اللّه."

وكتبت أخرى:" ... **أولا** ، ذهبت إلى راهبة كنت أثق بها كثيرا وأفرغت عندها كل ما شغل قلبي. ردّت عليّ مشفقة، لكنّها سلّمتني القرآن عندما غادرتها.كان الأمر ملتبسا جدا بالنسبة إلي. ثمّ ذهبت إلى أستاذي في الدين، الذي كان شخصا عاديا.وكنت كلما تحدثنا ازددت أكثر التباسا حتى قلت له أخيرا " اسمع ، أنا أريد منك فقط أن تخبرني – دون شك وبإقناع كامل- بأن السيد المسيح هو ابن الله ". ولم ينظر إليّ عندما قال: "أنا لا أستطيع أن أخبرك بذلك."

ولكنهن وجدن الإجابة عن أسئلتهن في الدين الإسلامي، إذ قالت إحداهن: " في مادة "مقدمة عن الإسلام." أعادت هذه المادة إلى ذهني كلّ المخاوف التي كانت عندي عن المسيحية.ومكنني تعلّمي للإسلام من الإجابة عن كلّ أسئلتي.فنحن كلّنا لن نعاقب لذنب آدم الأصلي.فآدم سأل الله المغفرة وربنا الرحيم اللطيف غفر له. والله لا يطلب منا التضحية بالدم للتكفير عن الذنب. نحن يجب أن نسأل الله المغفرة بصدق ونعدّل طرقنا. لم يكن السيد المسيح إلها؛ بل كان نبيا مثل كلّ الأنبياء الآخرين.لقد أتوا جميعا بنفس الرسالة: أن اعبدوا الله الواحد الحقيقي، عبادة وتسليما لله وحده، والعيش وفق حياة مستقيمة طبقا للتوجيه الذي أرسل."

وقالت أخرى: " لقد تمّت الإجابة عن كلّ أسئلتي حول التثليث وطبيعة المسيح (من حيث كونها إلهية كلها ،أو بشرية كلّها ، أو مركبة منهما معا؟). الله هو الكامل والحكم العدل، الذي سيجازينا أو يعاقبنا بناء على إيماننا واستقامتنا. وجدت العلم الذي وضع كلّ شيء في منظوره الصحيح، ولامس قلبي وفكري.لقد بدا طبيعيا..وليس فيه أي لبس. لقد كنت بصدد البحث فوجدت مكانا يستقر فيه إيماني.

والحمد لله على نعمة الإيمان وسماحة الإسلام والصلاة والسلام على محمد النبي العربي الأمي المبعوث رحمة للعالمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.